كيف نعود الطفل الثقة بنفسه

يشيد العالم أجمع بتربية الطفل فى بلاد الانكليز، ويعدها أحسن مثال صالح قادر لاعداد نشء قادر على القيام بكل مايسند إليه من مهام الأمور غير هياب ولا وجل ، وماهذا إلا لان أساس التربية هناك ترمى فى غرضها إلى تربية الطفل تربية استقلالية محضة مما كان سببا لأن ترى الشاب الأنكليزى يخرج إلى الحياة معتمدا على نفسه متناضلا مكافحا مستعدا لمنازلة الحياة ومصارعتها وهو على يقين من أنه سيغلبها ويقهرها وتكون له مركبا ذلولا وطريقا سهلا معبدا يحطم فيها كل ما يعترضه من عقبات بحزم لا يلين وقوة لا تستكين

فترى الشاب الأنكليزى فى نفسه قويا ناهضا لا يعتمد الا على نفسه ومجهوده يضرب فى أطراف المستعمرات الأنكليزية الواسعة ضرب النحلة العاملة الطيارة فى واسع الحدائق والرياض تجنى رحيقا حلوا وشهدا شافيا أينما حلت وكيفما استقرت على أية زهرة من زهراته . فتراه يستعمر بلاد الزنوج وأواسط أفريقيا، يذلل بنفسه كل صعب غير آبه بما يلاقيه من آلام . ينزل فى مثل هذه البلاد فلا يرى قصورا شاهقة كالتى تربى فيها ولا نوادى آهلة يتسامر فيها ولا مغنى حافلا يبهج النفس ويسر القلب ولا مروجا خضراء أو حدائق غناء يستنشق أريج نسيمها ومع هذا كله فلا يمل ولا يسأم

ينزل فى مثل هذه البلاد فسرعان ما ترى له من الأعمال النافعة ما يشعر به الناس فى قليل من الزمن، فتارة يضرب فى شوارعها النور الكهربائى، ويصير ليلها نهارا أو يجرى فيها المياه فيحيى موات أرضها ويجعل منها جنات تؤتى أحسن الثمرات وتنبت من كل زوج بهيج . أو ينشىء المدارس أو يقيم الشركات العظيمة والمعامل النافعة وبالجملة فان البلدة تحس بوجوده تتقدما نحو المدنية والعمران

وإنى اليوم أبعث بصيحتى هـذه الى الآباء اولا فهو اليد الأولى التى يتلقى عنها الابناء دروس التربية والتهذيب ثم المدرس ثانيا لأنه اليد الأخرى التى تعمل على كمال تربيته وتثقيفه فالأب والمدرس هما اليدان العاملتان اللتان يجب أن تتعاونا معا على تربية الطفل وتهذيبه.

إن اردتم أن تربوا أبناءكم تربية استقلالية فاعمدوا الى تعويد الطفل الثقة بنفسه والاعتماد على شخصه فى كل عمل يقوم به وذلك باشعاركم إياه عدم اهتمامكم به حتى يتعود الاستغناء عن مساعدة غيره . خذ طفلك معك واتركه حرا يتجول كيف شاء يقطف الأزهار

ويسلق الأشجار بنفسه ويفتح الجداول بيده أتركه يأكل بنفسه ويشرب بنفسه ويغسل يده ويلبس جلبابه ويربط حذاءه ويمد فراشه لنفسه وليس عليك الا إرشاده إن أخطأ. كلفه من الأعمال ما يلائم سنه واتركه يقوم به وحده مع ملاحظتك إياه فان أخطأ أرشدته وإن أصاب شجعته وتدرج معه فى ذلك كلما كبر حتى إذا بلغ سن الرجال كان متعودا العمل فيدخل معترك الحياة غير غريب عنها

وإياك والمبالغة فى المحافظة عليه والعناية به عناية تعدم بها شخصيته ووجوده فانك إن بالغت فى هذا كان طفلك هو ذلك الشخص الذى يخرج للحياة جبانا رعديدا

فاذا رأى نفسه يوما ما بعد ان كان محوطا بالوقاية قد خلى بينه وبين أقل خطر يلم به كان أسوأ الناس حالا وكان هو الشخص الذى يحاف من ظله فلا يعرف طريقا للخلاص غير أن يقف مكتوف اليدين ليس له من حيلته غير النحيب والبكاء وطلب النجدة كما هو الحال فى أبناء الأغنياء المترفين والموسرين منا

ولهذا فلن أن تجد شجاعا من أبناء المترفين وإنما هم فى الغالب من أبناء الفلاحين الفقراء الذين عركهم الدهر وربتهم الأيام وعلمتهم التجارب، ولهذا ذكر ابن خلدون أن من أسباب سقوط الأمم تركها الخشونة والتقشف ودخولها فى الترف والنعيم واعتيادها على غيرها، وذكر أن السبب الذى جعل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر هو أن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا فى النعيم والترف ووكلوا أمرهم فى المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى والهم والحاكم الذى يسوسهم والحامية التى تولت حراستهم واستنامو الى الاسوار التى تحوطهم فهم آمنون مطمئنون قد ألقوا السلاح وتوالت على ذلك منهم الأجيال

والبدو لتفردهم عن المجتمع وبعدهم عن الحامية وانتباذهم الأسوار والأبواب قائمون بالمدافعة عن أنفسهم وقد صار لهم اليأس خلقا والشجاعة سجية

لهذا يجب أن تكون عنايتنا بالطفل عناية معتدلة متزنة بمعنى أننا لا نمنحه عنايتنا إلا عند الضرورة وخشية الضرر عليه فاذا كان الطفل يلاقى صعوبة بسيطة فلنضرب عنه صفحا ليتعود التغلب على الصعاب وتذليل ما يعترضه من عقبات فبذلك يخرج الشاب إلى الحياة رجلا كاملا يسير موفقا

حسن النجار احمد
المدرس بلوس